«بحثاً عن الضاحية» معرض في «هنغار أمم» بحارة حريك:

شريط طويل حي ومؤثر من صور وحكايات وناس وشهادات ومعالم منطقة كانت جناح المدينة ومساحتها الإنسانية والاجتماعية المتعددة

يقظان التقي

بحثاً عن «الضاحية»، معرض صور وليال سينمائية الى السادس عشر من حزيران المقبل في «هنغار أمم»، حارة حريك.

ما تبقى من الضاحية والزمن الذي كانت عليه في عيون أهلها من التصاقها بالمتن - ساحل المتن الجنوبي، وريثة «ساحل النصارى»، ثم انفصالها شيئاً فشيئاً عن المتن والتصاقها بمتن المدينة.

نشاط فني بخلفية سياسية واجتماعية واقتصادية يعود الى الضاحية في أواخر العقد الثاني من القرن الماضي في المصطلح الجغرافي والديموغرافي والسياسي «بيروت الجديدة».

جوهر المعرض هو لفهم طبيعة المنطقة بكاملها مع محيطها كضفة أكثر منها كمكان قابل للتوسع وبهذا الاعتبار لا حدود لما يمكن أن تصفه أشياء المعرض، الأشياء الضرورية والصور والنصوص والشهادات والليالي السينمائية والعمران والعلاقات الرمزية كأن يكون «المكان» خزان القمح للمدينة. أعوام حاسمة بالشواهد والآثار والأخبار عن «الضاحية الجنوبية أيام زمان».

رواية وأكثر واكتشافات مفاجئة، متتاليات سريعة في منطق إنساني وأكثر استوعبته الضاحية في منأى عن التقادم والتجدد وشارع المصائر التي يحاول المعرض أن يرصد تحولاتها ضمناً.

انطباعية

انطباعية هائلة تتردد بين صورة وأخرى، ملصق وآخر وشهادة وأخرى، وأحداث رمزية تمثل إرادات حية، مثل الإضافات الأخرى التي جمدت أشياء وأشخاص تلك المنطقة، وهي في واقع الحال أيام مكان عفى عليه الزمان.

الضاحية هي «البقعة» الوحيدة في لبنان الذي ينهض فيها هذا التسارع السكاني والعمراني والثقافي والاقتصادي، والإيديولوجي، هذا عدا عن الشموليات والأفكار التي تتجاوز «الضاحيويين» ضمناً. وأبسط، وأضعف الإيمان ولا بأس بذلك ولا حرج، لكن للأسف أن تسبق الى الخاطر من فصول التسارع لتلك الصور، صور الدمار التي لحقت بالمكان صيف العام ٢٠٠٦، وتحديداً بالحيّ القلب من أحياء «الضاحية»، نعني بها حارة حريك.

يستدعي التدمير المنهجي الذي تنقله الصور في المعرض التأمل في الاعتبار السياسي والإدانة الأخلاقية لهمجية العدو الإسرائيلي والإدانة قاطبة. وأضعف الإيمان أيضاً السؤال في معنى الحرب التي تؤذن بأن الضاحية وبعضها مدمر موشكة على إعادة الإعمار. او استدعاء حرب أخرى!

فراغ الصورة، فراغ الأمتار المربعة، آلاف الأمتار المربعة من الضاحية / حارة حريك تصدر التراب الى الواجهة ترابياً ينوء بثقل الفراغ، والتساؤل عما يجعل هذا الفراغ ثقيلاً الى هذا الحد؟ ليس أحد أن يجزم بأي فراغ هو الأقسى، فراغ يسود التراب، أم فراغ يسود الأفكار، من قبل أن تمتلئ «الضاحية» بكل هذا الفراغ وصنوه. وهذا ما تحاول أمم للأبحاث والتوثيق أن تقترحه في المعرض بحثاً عن ضاحية، قد تكون ضاحية جديدة، أو ضاحية قديمة.

بحثاً عن الضاحية هو مشروع وسؤال قيد الإنشاء بدأ التحضير للمعرض العام ٢٠٠٥ عملاً يقوم على تجميع ما يتيسر من روايات شفوية ومن آثار تخبر قصص تحول حارة حريك من مكان مختلط، على شتى معاني الاختلاط الفكري والديني والإجمالي والثقافي، ليس على المعنى الطائفي فقط الى مكان ينمو باطراد الى «الصفاء».. الصفاء الطائفي أولاً ولكن الصفاء أو الغيتو السياسي أيضاً، الى الرتابة الاجتماعية والعمرانية.

هذا قبل الحرب، وقد علقت أمم مشروعها لأشهر لتستأنفه بعد الحرب في السياق ذاته، أكدته الحرب الأخيرة من جغرافيا افتراضية تركزت على حارة حريك نفسها ولتفترس السؤال نفسه بحثاً عن «الضاحية» الجنوبية.

شهادات

المعرض يقدم بعضاً مما تجمع لدى أمم من شهادات سمعية، ومن آثار بصرية لا يستغرق الضاحية ولا يحيط بها شمولياً وأبعد من «الكولاج» المصور بطابع تأليفي وصفته أمم بمشروع قيد الإنشاء بحثاً عن... عن «الضاحية». عن ضواحي الضاحية بلا استثناء من حيّ السلم / الكرامة الى (D.T) وما بعدهما وما قبلهما. دعوة مفتوحة الى الخيار بين إحدى ثقافتين: ثقافة الممحاة والمجاملة و«تبييت» الحرب، أو ثقافة الذاكرة (الناقدة الحية) والمكاشفة، من دعوة مفتوحة الى المساهمة في إنشاء المشروع وترميمه وتدعيمه وتكامله أكثر والى أوسع مشاركة مستديمة في بنائه أكثر وأكثر.

مادة العرض تأتي في خلفية اجتماعية كانت سائرة وقاطعة، يمكن ملاحظة آثارها في جميع السنوات القديمة أمثلة وأخبار وروايات في سياق حيوي وبسيط من الأشياء العينية، تحت النظر وفي مستوى الحدود الإنسانية والاحتمالات المفتوحة على مكان آخر. المفارقة أن الضاحية لم تحافظ على تلك الحالة بين ما هو ثابت وبين ما هو متحرك.

يفتح المعرض ببساطة على الشكل الأساسي للعيش في «الضاحية» (الكلاسيكية) التي نعرفها، من ضمن أساليب وصور مختلفة، قراءتها اليوم تكتسب تباعداً وغموضاً شديدين مع غياب عناصر واشارات مادة بديلة عن الواقع، يعتريها الكثير من التفكيك حتى بالطابع التمثيلي المتغاير مع مفردات كثيرة وغائبة ومجردة من كل اشكال العرض.

ندري اذا كانت المادة المعروضة في «الهنغار» هي مادة على نية التصدير او التثبيت، والهنغار منذ تأسيسه العام ٢٠٠٥ يعيش حيوات جديدة لكن مع اندلاع الحرب الأخيرة وما قد يتلوها من حروب مستديمة، تجعل الهنغار بحالة من اللجوء السياسي، هذا بفضل المساعدة التي حصلت عليها أمم من برنامج الاغاثة الثقافية التابع لمؤسسة الأمير كلاوس ومن مؤسسة ميديكو انترناشيونال.

مع ذلك تشبه الاقامة في الهنغار اقامة افتراضية على مساحة ٢٨ كلم٢، هي قضية الضاحية الجنوبية، في كل الواقع التاريخي للضاحية. التاريخ الذي لا يخفي أي شيء ويمنح الضاحية اسماءها وآثارها واعلامها.

الضاحية مكاناً للتوازن النفسي القديم اوتقديم المزاج الحقيقي لسكان الضاحية الأصليين.

شريط بصري وصوتي في ميدان حيوي من التعبير والتوثيق غير المنجز تماماً، لكنه يحاول الاقتراب أكثر من لحظات الضاحية وحواراتها.

الأهم هو الواقع المسكون لمواجهة الشموليات والمحرمات والعصبيات، والشهادات والحوارات التعددية تعبير في التكرار كما يشبه ضاحية أخرى وباحساس وجودي آخر.

كشوف عادية ربما تشبه اي منطقة لبنانية أخرى، بمقدار ما هي خصوصية، تكشف عرى العلاقات في الكولاج اللبناني المتغاير الصور والنبرات والأصوات والمواقع والفئات والأفكار.

الحياة هنا في الضاحية تمر بسرعة حتماً وبسرعة هي خلاصة اشياء كثيرة ليست مصادفة، رغبة لا تقاوم في رواية تواريخ أخرى بحالة واقع آخر وسلطة تسريع ثانية ضربها ايقاع الراديكالية الحاد والحياة على الرمل من دون نافذة على البحر حتى.

جميلة لحظة الهنغار الضوئية في عبورها الى سعادة الناس، حب الناس انسانية صعبة لكن خلاقة تعالجها ملصقات وكلمات وقصص ملونة.

كم كانت الضاحية الكلاسيكية جميلة، والوانها البدائية رائعة وعميقة وصارخة في تعددها وتنوعها ونافذتها العريضة على الرمل من دون نافذة على البحر حتى.

حقيقة تؤكد على فكرة مبسطة وواقعية وتلافيف ملونة وتعبيرات داخل الصالة عن اشياء تراعي تقاليدها اللبنانية ومسار المدنيين وتخلق واقعة مهمة تضاعف الشحنة العاطفية التي تحاول أن تواجه السؤال الصعب: «بحثاً عن الضاحية». وأي ضاحية كأنها مسافة من الرؤيا الداخلية المعقدة والمركبة، الضرورة الداخلية للتعبير والحفاظ على كل المسافة القريبة والبعيدة في آن عن الضاحية.

المعرض اشرف عليه المثقف النشط والميداني والحي والمتقدم لقمان سليم. اشرف على هذا المشروع ووثقه وجمع مخطوطاته وصوره بالتعاون مع فريق حيوي يعمل بوتائر نشطة وجريئة من الباحثين والباحثات وفناني الديزاين والاخراج الفني الذين يعملون في مشروع الهنغار في نشاطات شملت إلى الآن عروضاً سينمائية ومسرحية ومعارض وندوات ويجري العمل حالياً على برامج مستقبلية وأوسع.

اشارة الى ان افتتاح المعرض حمل اهداء الى الراحلة مي غصوب.

● حارة حريك

● طريق المطار ..فسحة للنزهة

● سينما بالاس

● حرية أيام زمان.. على الجناح

«الضاحية الجنوبية» أيام زمان، «الجناح مشمس بيروت والضاحية»، «صيفيات أيام زمان»، «سينمات أيام زمان»، «سينما بالاس»، «حارة حريك - البلد»، سيرة لبنانية وبحر من الرمل في مواجهة المخيم الفلسطيني في برج البراجنة بحر من الحرية.

يروي محمد حمود في شهادة عن دور السينما في الضاحية «بدك تقول من ٦٠-٦٥ على ٧٠ صارت تفرخ السينمات مثل الفطر في لبنان، وصار يطلع بالشوارع الشعبية صالات سينما. طلع من برج البراجنة سينما راديو، سينما بالاس، سينما دنيا. كلها على خط واحد من ساحة عين السكة للغبيري، وطلع بالغبيري سينما اسمها «الاهرام» قرب بيت الخنسا، رجع طلع سينما هيلتون، وسينما سندريلا وسينما بئر العبد... وبالمريجة..

هاي السينما كانت ناجحة، كان يجيلها رواد من الغبيري من الحدث والاوزاعي، من شارع صبرا، واستمرت السينما إلى السبعينات وزاد مع مهجري النبعة، وسبنيه والجنوب... بالثمانينات بلش شغل السينما يخف بالضاحية، بلش يضعف شغلها، اضطرينا نحط افلام كاراتيه، فيلم عربي، وفيلم سيكس، بعدين صرنا نحط اربع أفلام، بعدين عملنا عرض متواصل..!

للتفكير

هذا مدعاة للتفكير ويرجع الى افتقاد الضاحية تقاليدها وعاداتها مع الافتتان بأشياء الامس، والمعرض استطلاع مهم من دون الحاجة الى تسييس الهدف، مثال واسع للافتتان بالضاحية، ارض تلال الرمل الشاسعة، بحر من البيوت من دون بيوت ولا شيء.

ارض خصبة لعصابات الاطفال يرشقون اولاد المخيم الفلسطيني بالرمل ليس بأي شيء آخر!

بالتأكيد هي غير قصائد الحرب وقصصها وحكايات الشموليات النهائية، وبعد كل حرب يتعين التعبير عن اشياء كانت موجودة قبل كل شيء، ثمة حاجة لمن يزيح الانقاض حتى تستطيع العربات المحملة بالنظرات ان تمر بالمكان.

يروي صلاح الحركة في شهادة عن صيفيات البحر: «كنا نصيف عالبحر» نروح مشي طبعاً على الجناح نقطع هالرمول ونروح باتجاه الغرب، نصير على البحر، نعمّر خيم وعرزال.. البحر كان كثير حلو وغني بالسمك... كثير غني بالسمك... كان يجي السمك يرعى على اجرينا بكميات...»

اما حكايات بلاج السان سيمون فحكايات أخرى مع جوزيف سمعان الذي قام بالمشروع لوحده، بدأ بقهوة وتوسع شيئاً فشيئاً وصار عنده الإليت تبع بيروت... من قناصل وسفرا ومدرا كويسين..».

معرض يحتفل بتفاصيل الحياة البسيطة، الجميلة ويربط بها خارطة

● النائب السابق محمود عمار مع الإمام موسى الصدر

● .. والرئيس كميل شمعون

● شاطئ الجناح (أيام زمان) امتداد الضاحية

● جانب من الضاحية صيف ٢٠٠٦